قراءة في كتاب:

الرسول والعلم

للإمام يوسف القرضاوي

إعداد: عبد الحق لمهى

أولا: بيانات الكتاب

الكتاب موضوع القراءة يحمل عنوان: "الرسول والعلم " ذُيِّلَ الكتاب بحديث: " من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة"، ألفه الإمام يوسف القرضاوي[1]، عدد صفحاته 168 صفحة، وصدر عن مكتبة وهبة في طبعته الثالثة (مزيدة ومنقحة) 1430ه/ 2009م

ثانيا: مقدمة

لما كان للعلم في الإسلام مكانة عالية، فقد توالت التآليف التي عنيت به بيانا لمكانته، ودعوة للعناية بطلبه، وتأكيدا على الحاجة المتجددة للنظر فيه، ومن الكتب التي أسهمت في التعريف بموضوع العلم من خلال أحاديث السنة النبوية كتاب: الرسول والعلم.

فما الهدف منه؟ وما المنهج الذي سلكه الكاتب؟ وما مجمل محتوياته؟ وما المزايا التي حفل بها الكتاب؟

[1] ـ حرصا على التعريف بشخصية المؤلف الإمام يوسف القرضاوي رحمه الله تعالى، ونظر لطول متن سيرته كما جاء في الموقع الرسمي لفضيلته، وتجنبا لكل إطالة، يمكن الرجوع إلى الموقع ففيه سيرة مفصلة عن الشيخ رحمه الله تعالى،

- https://maraje3.com/2012/04/%D8%AA%D8%B9%D8%B1%D9%8A%D9%81-%D8%A7%D9%84%D8%B4%D9%8A%D8%AE-%D9%8A%D9%88%D8%B3%D9%81-%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%B1%D8%B6%D8%A7%D9%88%D9%8A-%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%B4%D8%A3%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%A4/ تاريخ زيارة الموقع 2023م /16/12

ثالثا: هدف ومنهج الكتاب

هدف الكتاب

من خلال الاطلاع على الكتاب يمكن القول إن الغاية منه إثارة وعرض قضية ذات أهمية كبرى في حياة الإنسان المسلم خاصة، والبشرية عامة، هذا الموضوع هو مكانة العلم في الإسلام، أو بعبارة أخرى " بيان موقف السنة النبوية من العلم "[2].

منهج الكتاب

يعد المنهج التوثيقي واحدا من المناهج المعتمدة في البحث العلمي، ومن عناصر هذا المنهج الجمع؛ وهوعمل يقوم على "جمع أطراف أو أجزاء جسم علمي ما، متناثرة في أحشاء التراث، وإعادة تركيبها، تركيبا علميا، متناسقا"[3] وعند النظر في الكتاب الذي بين أيدينا يمكن القول إن الكاتب قام بجمع مادته من خلال كتب التراث المختلفة، وعمل على إعادة تركيبها تركيبا علميا متناسقا، بما يحقق الغاية منه، ولعل ما يدل على هذا المنهج اعتماد الكاتب على جملة من الكتب التي جعلها مصادر ومراجع لموضوعه.

ثاني المناهج التي تظهر في الكتاب: المنهج التحليلي[4]، وهو منهج يتألف من عناصر منها؛ النقد، وبالتأمل في كتاب الرسول والعلم، يلاحظ

لرسول والعلم، الإمام يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، الطبعة الثالثة (مزيدة ومنقحة) 1430ه/ 2009م، ص10

[3] - " أبجديات البحث في العلوم الشرعية (محاولة في التأصيل المنهجي) ضوابط ـ مناهج ـ تقنيات ـ آفاق" ، الدكتور فريد الانصاري ،دار الكلمة للنشر والتوزيع ـ مصر ـ المنصورة، الطبعة الأولى 1423ه / 2002م، ص 75

[4] ـ نفسه، ص 95

أن ثمة جهد نقدي هام بذله الكاتب في معالجة مجموعة من القضايا المطروحة في كتابه. ومن ذلك ما لاحظه وانتقده على كثير ممن يعتمدون على الأحاديث الواهية، يقول المؤلف:" ولقد لاحظت انتشار عدد كبير من الأحاديث الواهية عند كثير من المتحدثين عن العلم أو الكاتبين فيه..."[5]

ويعرف المنهج الوصفي[6] بأنه: "يقوم على استقراء المواد العلمية، التي تخدم إشكالا ما، أو قضية ما، وعرضها عرضا مرتبا منهجيا" وفي هذا السياق يمكن القول بأن الكاتب عمل على استقراء المادة العلمية التي تخدم موضوع العلم في الإسلام، وخاصة من خلال السنة النبوية الشريفة، والعمل على عرضها عرضا مرتبا منهجيا.

رابعا: محتوى الكتاب

تألف كتاب الرسول والعلم من مقدمة، وخمسة محاور، وآثار وثمار، وخاتمة، مع تذييله بقائمة مصادر ومراجع.

في المقدمة تقرير لمجموعة من النقط، ومنها:

ـ عناية الإسلام بالعلم من خلال عدة مستويات، ومن ذلك ورود العديد من الألفاظ التي تنتمي إلى عائلة العلم مثل: العقل، والنظر، والحجة، وغيرها، فيما هناك غياب تام لتلك الألفاظ في متن الأسفار المقدسة في العهد القديم أو الجديد.

[5] ـ الرسول والعلم، ص 10
[6] ـ نفسه، ص 66

ـ اهتمام كتب الحديث النبوي بالعلم من خلال تخصيص كتاب للعلم في متن كل كتاب من تلك الكتب، أضف إلى ذلك أحاديث نبوية لم ترد في هاته الكتب ولها تعلق بموضوع العلم.

ـ اعتماد المؤلف الأحاديث الصحاح والحسان، وتركه الاعتماد على غيرها من الأحاديث الضعيفة والموضوعة وبين أسباب ذلك.

ـ العمل على تمحيص الأحاديث وفق منهجية لا تقوم على مجرد نسبة الحديث إلى كتاب معروف من الكتب التي أوردت الحديث النبوي، وبعد التمحيص يأتي" استنباط الحكم أو المعنى المراد منها" [7]

ـ الإشارة إلى انتشار الأحاديث الواهية في عدد من الكتب التي تناولت موضوع العلم، ومنها كتاب " إحياء علوم الدين" للإمام أبي حامد الغزالي (ت 505هـ) فذكر أن فيه إلى جانب الأحاديث الصحيحة والحسنة أحاديث ضعيفة.

ـ تقسيم الكتاب إلى خمسة أقسام وهي ما سيتم ذكره لاحقا.

القسم الأول: منزلة العلم والعلماء

ومجمل القول حول هذا القسم ما عبر عنه المؤلف رحمه الله بقوله:" أن العلم في نظر القرآن والسنة ليس خصما للدين، ولا ضدا للإيمان، ولم يعرف المجتمع الإسلامي ما عرفته مجتمعات أخرى من الصراع بين العلم والدين، ومن اعتبار العلم مقابلا للإيمان، فالحقيقة أن العلم عندنا دين،

[7] ـ الرسول والعلم، ص 9

والدين عندنا علم، والعلم في حضارتنا دليل الإيمان، وإمام العمل، وباب السعادة في الآخرة والأولى"[8]

القسم الثاني: الرسول والعلم التجريبي

وهذا القسم الذي فصله المؤلف في عدد من صفحات الكتاب، نجده قد جمع معناه في قوله: "أن الإسلام لا يضيق بالعلم التجريبي، بل يحترمه ويدعو إليه، ويصنع المناخ النفسي والفكري الملائم لازدهاره. مثل: تكوين العقلية العلمية الموضوعية (التي ترفض اتباع الظن والهوى والتقليد ...إلخ) وإشاعة التعلم والكتابة والقراءة، والحث على تعلم لغات الآخرين عند الحاجة، واستخدام أسلوب الإحصاء، وأسلوب التخطيط لمواجهة احتمالات المستقبل، وإقرار مبدأ التجربة في شؤون الدنيا، والنزول عند رأي أهل الخبرة في مجال خبرتهم واقتباس كل علم نافع من أهله. واحترام سنن الله تعالى في الكون، والحملة على الأوهام والخرافات والمتاجرة بالكهانة والعرافة...إلخ. وكل هذا أتاح للعقل أن يفكر، وللعالم أن يبحث، وللعلم أن يزدهر." [9]

القسم الثالث: أخلاقيات العلم

هذا القسم مثل ما سبقه من أقسام الكتاب الذي بين أيدينا، تناوله المؤلف بتفصيل هام، وفي هذه الفقرة الآتية جماع كلام المؤلف حول هذا القسم:" أن الإسلام ـ في ضوء ما جاءت به السنة ـ لا يفصل بين العلم والأخلاق،

[8] ـ الرسول والعلم، ص 164
[9] ـ نفسه، ص164- 165

فالعلم وإن كان مفضلا في ذاته، (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) (الزمر،10) فهو يراد للعلم، والعلماء إنما يضيئون الحياة بالمعارف والأخلاق جميعا. ومن هنا ركزت السنة على أخلاقيات العلم ومسؤولية العلماء، حتى لا يكونوا كعلماء بني إسرائيل الذين كانوا يأمرون الناس بالبر، وينسون أنفسهم، وهو يتلون الكتاب."[10]

القسم الرابع: التعلم وآدابه

ألمح المؤلف في هذا القسم جملة من الآداب التي ينبغي أن تكون لصيقة بالتعلم لا تنفك عنه، ومن تلك الآداب ما يلي: تصحيح النية، والصبر على متاعب الطلب، وتوقير المعلم وإكرامه.

ومما تطرق له المؤلف الإمام يوسف القرضاوي في كتابه هذا في سياق هذا القسم، ما عبر عنه بقوله:" أن طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، والعلم المفروض هنا يعني الحد الأدنى الذي لابد منه، سواء كان علم الدين، أم علم الدنيا، والحد الأدنى لعلم الدينا يتمثل في محو الأمية التي أصبح بقاؤها وانتشارها في العالم الإسلامي، وصمة عار على جبين الأمة الإسلامية يجب أن تمحى. وعلى علماء المسلمين أن يعلنوا وجوب التخلص شرعا من هذا المنكر الذي وصم أمتنا بالتخلف والعجز، في مواجهة أمم الحضارة. ولن تؤدي أمتنا رسالتها، وتثبت وجودها وأستاذيتها، كما أمر الله إلا بتعليم أبنائها جميعا. وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب."[11]

---

[10] ـ الرسول والعلم، ص165

[11] ـ الرسول والعلم، ص 165

القسم الخامس والأخير: التعليم ومبادئه وقيمه

سيرا على منوال الحديث في الأقسام السابقة من هذا البحث، وبعدما تمت مناقشة هذا القسم بنوع تفصيل مهم، قدم المؤلف رحم الله عصارة هذا القسم، في النص الآتي: " إن الإسلام ـ في ضوء ما فصلته السنة ـ قد وضع مبادئ وأسسا للتعلم والتعليم سبق بها أفضل ما يباهي به عصرنا ومفكروه من قيم تربوية، في جانب التعلم أو التعليم. مثل مبدأ استمرار التعلم أو طلب العلم من المهد إلى اللحد.. ومبدأ التخصص في أحد العلوم ... ومبدأ التوقير للمعلم.. والرفق بالمتعلم.. والتدرج في التعليم.. ومراعاة الفروق.. والإشفاق على المخطئ وتشجيع المحسن.. واستخدام الوسائل المعينة، وغير ذلك."[12]

ثم كتب المؤلف عنوانا باسم: " آثار وثمار"

وفيه إبراز لأهم ثمرات وآثار الدعوة إلى العلم في الحياة الإسلامية، والتي ظهرت من خلال:

ـ حرص الصحابة ومن بعدهم التابعين على التزود وطلب العلم والاجتهاد في تعليمه للناس.

ـ اشتغال مساجد ومدارس البلاد الإسلامية بتعليم العلم وبذله للناس.

[12] ـ نفسه، ص165

ـ اتساع حركة التأليف في شتى العلوم، الدينية منها أو تلك التي سميت بعلوم الآلة.

ـ تقرير " الفقهاء ـ على اختلاف مذاهبهم ـ في ضوء الأدلة الشرعية جملة من الأحكام، يبدو بها مدى ما للعلم، وتعلمه، وتعليمه، ونموه واستمراره من قيمة وأهمية في نظر الشريعة الإسلامية.

من ذلك:

ـ أن نفقة طالب العلم واجبة على أبيه الموسر..."[13]

وفي الأخير ومع **خاتمة الكتاب**، فقد جمع المؤلف فيها كل ما تطرق له في ثنايا الكتاب من الأقسام الخمسة السالفة الذكر، وذلك بشكل مختصر مفيد، يمكن القارئ من الاحتفاظ وتذكر ما جاد به متن الكتاب من القضايا العلمية والمعرفية، ذات الصلة بموضوع العلم ومكانته في الإسلام، وخاصة من خلال السنة النبوية الشريفة.

خامسا: مزايا الكتاب

لكل كتاب أو مؤلف مزايا يختص بها، منها ما يكون مشتركا مع غيرها من الكتب الأخرى، ومنها يختص به الكتاب دون غيره.

ولعل من أبرز ما تميز به كتاب " الرسول والعلم " ما يلي:

[13] ـ نفسه، 162

ـ تناول الكتاب موضوع العلم في الإسلام من خلال أحاديث السنة النبوية، وفق منهجية تعتمد تمحيص الأحاديث، واستنباط المعنى المراد منها، معتمدا في ذلك كله على الأحاديث الصحاح والحسان، تاركا العمل بغيرها من الأحاديث الضعيفة والموضوعة.

ـ لا يخلو مجال من مجالات الحياة الإسلامية من شبهات تثار حوله، ومجال العلم في الإسلام مما أثيرت وتثار وستثار حوله حول شبهات مختلفة ومتعددة على مر الأزمنة، لذلك يمكن اعتبار الكتاب واحدا من الكتب التي يرجع إليها في الرد على الشبهات المثارة حول موضوع العلم في الإسلام وبخاصة مدى عناية السنة النبوية به. فإذا أثيرت مثلا مسألة الرسول عليه السلام والعلم التجريبي وَجَدَ ـ من يبحث عن عُدَّة علمية للرد على أصحاب الشبه ـ الكتاب خير عون له على ذلك.

ـ تقوم عملية تدريس مادة التربية الإسلامية في النظام التربوي التعليمي بالمغرب على مجموعة من "القواعد" ومنها اعتماد الأسناد أو النصوص الفكرية في سياق عملية التدريس أو التقويم، والكتاب الذي بين أيدينا حافل بجملة من النصوص (الأسناد) التي يمكن الاستفادة منها واعتمادها في بناء عدد من الدروس المقررة سواء في جانب تدريسها أو تقويم المتعلمين فيها، ومن تلك الدروس نذكر على سبيل المثال الحصر : الإيمان والعلم، الرفق والرحمة، النظر والتفكر سبيل العلم والإيمان، الصبر واليقين، وسورة الكهف وتحديدا ما تضمنته حول قصة موسى والرجل الصالح. ففي

الكتاب غنية لكل باحث عن أسناد ونصوص لتجويد الممارسة الصفية لمادة التربية الإسلامية. [14]

ـ من مميزات البحث الجاد عند الباحثين المتخصصين في كل علم من العلوم، حضور شخصية الباحث في بحثه تحليلا ومناقشة ونقدا ومراجعة للقضايا التي وردت في البحث، ومن خلال قراءة الكتاب يمكن الوصول إلى نتيجة مفادها الحضور القوي للمؤلف في متن الكتاب، يدل على ذلك أمور منها ما سبق ذكره حول منهجه، والذي كان منه المنهج التحليلي القائم على عناصر من النقد وغيره، ومنها كذلك حجم التعابير والمفردات والكلمات الواردة فيه إلى جانب الاقتباسات التي تضمها.[15]

ـ يفتح الكاتب أفقا للبحث في قضايا علمية مهمة، من بينها ما أثاره المؤلف حول غياب ألفاظ من عائلة لفظ العلم في الأسفار المقدسة في العهد القديم أو الجديد[16]، فذلك مما يمكن أن يكون موضوعا لبحث علمي جاد ومثمر، يقوم به طلبة العلم الباحثون في الجامعات خاصة.

ـ بالنظر في سيرة المؤلف، فقد كان له ارتباط بمجال الأدب والشعر يشهد لذلك مؤلفاته في هذا الباب من دواوين الشعر والمسرحيات المكتوبة[17]، كل ذلك برز في كتابه " الرسول والعلم" فالقارئ للكتاب

---

[14] ـ من الوثائق المهمة التي يرجع إليها للتفصيل أكثر في هذه المزية من مزايا الكتاب برمتها، وثيقة منهاج مادة التربية الإسلامية بسلكي التعليم الثانوي الاعدادي والتأهيلي العمومي والخصوصي، صادرت عن وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني، المملكة المغربية، يونيو 2016م، وكذا وثيقة الإطار المرجعي للامتحان الموحد الجهوي للسنة الأولى من سلك الباكالوريا لاختبار مادة التربية الإسلامية ـ 2016م ـ جميع الشعب، صادرت عن وزارة التربية الوطنية والتكوين المهني، المملكة المغربية

[15] ـ الكلام حول هذه المزية مستفاد من مناقشة الأساتذة الدكاترة للأطروحات الجامعية خاصة، والتي يركزون فيها على ميزة حضور الباحث من عدمه في بحثه المقدم للمناقشة. ويعتبرون ذلك من محددات نتيجة المناقشة العلمية للأطروحة الجامعية

[16] ـ ينظر كتاب الرسول والعلم، ص 5

[17] ـ من أعمال المؤلف في الأدب والشعر: " نفحات ونفحات" (ديوان شعر)، وعالم وطاغية (مسرحية)

تستهويه كلماته، ويجد نفسه أمام كتاب يناقش قضية العلم من خلال السنة النبوية الشريفة بروح أدبية ماتعة، تكسب القارئ أسلوبا مفيدا في الكتابة.

ـ ما دام الكتاب يتناول موضوع العلم، فهو وثيقة مهمة لكل العاملين والمهتمين بالشأن التعليمي التعلمي، سواء الرسمي منه أو غير الرسمي، يستفيد منه كل طرف من أطراف العملية التربوية بغية تطويرها. وبخاصة منهم المدرس الذي يعد القائد والموجه والمنشط للشأن التربوي.

ـ في الغالب الأعم ما يتأسى اللاحقون بالسابقين من المدرسين والمربين في الحقل التربوي، يأخذون عنهم عصارة تجربتهم في مهمة التعليم والتربية، فيحاولون تقليدهم فيما كانوا فيه صائبين وترك ما لم يكن صوابا من تلك التجارب، وكل ذلك عمل محمود ما دام تقليدا لأحسن ما كان من تجربة السابقين من أهل الخبرة في الميدان التربوي، ولكن الأجمل من ذلك كله لو جعل كل معلم ومرب من الهدي النبوي مرجعا أسمى في سبيل إنجاح مهام التربية والتعليم للأجيال. فذلك أضمن للنجاح، وأصوب في التأسي، فليس التأسي بسيرة خير البشر أسمى من التأسي بغيره من سائر البشر، وخاصة فيما نصت عليه أحاديث الرسول عليه السلام، أما ما كان من الاجتهادات البشرية بعد توجيهات مقام النبوة فالأخذ به جائز شرط أن يكون فيه من الحكمة ما فيه؛ جاء في الحديث عن: " أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ ولفظه :الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها."[18].والكتاب موضوع القراءة الجارية، يعد مرجعا لكل مهتم مشتغل بأمر

[18] ـ هناك كلام حول هذا الحديث وهو كما يلي:

التعليم والتعلق وذلك لما تضمنه من توجيهات نبوية هادية، من شأن التمسك بها تأسيس ممارسة تربوية راشدة بعيدة عن انحراف فكري أو سلوكي يمكن أن يصدر عن العاملين في الحقل التعليمي

سابعا: خاتمة

صفوة القول، أن الكتاب استطاع تقريب الصورة للمهتمين بموضوع العلم وعلاقة السنة النبوية به، من خلال مجموعة من الجوانب سواء منها ما تعلق ببيان مكانة العلم والعلماء، أو طبيعة علاقة الرسول عليه السلام مع العلم التجريبي، أو ما تعلق بأخلاقيات وآداب وقيم التعلم والتعليم.

ومنه فإن الكتاب يفتح أفاقا بحثية، من ذلك الانطلاق من قضايا الكتاب والبناء عليها، نحو تأسيس دليل عملي للعاملين في الحقل التربوي من مدرسين وأئمة وخطباء وآباء وأمهات، ومنظمات، وعموم من له صلة بموضوع التعليم والتعلم. فإذا كان الكتاب تناول مجموعة من القضايا

السؤال

هل هناك حديث نبوي شريف بمعنى أن الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها؟ وما صحته إن وجد؟ وجزاكم الله خيرا.

الإجابــة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، أما بعد :

فهذا الحديث رواه الترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ ولفظه :الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها.

قال الترمذي :هذا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ إِلَّا مِنْ هَذَا الوَجْهِ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ الْفَضْلِ الْمَخْزُومِيُّ يُضَعَّفُ فِي الحَدِيثِ مِنْ قِبَلِ حِفْظِهِ ـ وحكم الألباني على الحديث بأنه ضعيف جدا.

ورواه ابن حبان في الضعفاء عن أبي هريرة ولفظه :الكلمة الحكمة ضالة المؤمن حيث وجدها جذبها.

وهذا الحديث وإن لم يثبت مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فإن معناه صحيح، وذلك أن المؤمن لا يزال طالبا للحق حريصا عليه، ولا يمنعه من الأخذ به حيث لاح وجهه شيء، فكل من قال بالصواب أو تكلم بالحق قبل قوله وإن كان بعيدا بغيضا، وقد قال تعالى :ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا }المائدة:8.{

فليس بغض المؤمن شخصا ما بحامله على رد ما جاء به من الحكمة والخير، بل هو يأخذ الحكمة من أي وعاء خرجت وعلى أي لسان ظهرت على حد قول القائل:

لا تحقرن الرأي وهو موافق حكم الصواب إذا أتى من ناقص.

فالدر وهو أعز شيء يقتنى ما حط قيمته هوان الغائص.

والله أعلم.

https://www.islamweb.net/ar/fatwa/162395/%D8%AF%D8%B1%D8%AC%D8%A9-%D8%AD%D8%AF%D9%8A%D8%AB-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%83%D9%85%D8%A9-%D8%B6%D8%A7%D9%84%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%A4%D9%85%D9%86 بتاريخ 2023/12/24م

العلمية فإن الباحثين تبقى عليهم مهمة أخذ تلك القضايا بقوة وتصييرها في شكل دلائل عملية من أجل الاسهام في تطوير عمل الجهات المشتغلة بالشأن التربوي أفرادا وجماعات.